

لمحي الدين محمد .

وما لا بد من ملاحظته هو التأليف بين فصول غير متجانسة وجمعها في كتاب واحد ، مما يفقد افكار هذه الفصول تركيزها واهمية مواضعها لدى القارئ . وكان الاولى لو جمع المؤلف هذه الفصول التي تدور حول الحرية في كتيب منفرد ، وتلك

التي تدور حول اعمال فنية في كتاب آخر .
وكلمة اخيرة : لايسعني الا اكنار جهد المؤلف والشد على يده متمنيا له الاستمرار في هذا العطاء الخير ، دون خوف او تردد امام اية قيود او حواجز قد يضعها امامه غباء التاريخ .
يوسف الخوراني

قضايا كبيرة

« الطريق الدامية » ، بقلم احمد الخطيب . بيروت ، ١٩٦٣

« عناصر هدامة » ، بقلم يوسف الخطيب . المكتبة العصرية ، صيدا ، ١٩٦٤

« حتى يبقى العشب اخضر » ، بقلم اديب نحوي . دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٤

مفاهيم غامضة لها ؛ لاننا - والحمد لله - محرومون منها كليا ، محرومون من الحرية المطلقة ومن الحرية النسبية ، محرومون من ابسط المبادئ التي يطلق عليها عادة كلمة الحرية .
لذلك فقد جالت ذهني بعد قراءة هذه الكتب الثلاثة ، الاسئلة التالية :

هل استطاع ادباؤنا التعبير عن قضية العصر ، في مؤلفاتهم هذه ، بواسطة القصة ؟ هل استطاع الادباء الوصول الى مستوى القضية ؟ هل تمكن ادبنا الحديث من التعبير عن قضايانا المعاصرة ؟
فكرت كثيرا قبل ان اجد الجواب . تحيلت ذهني المؤلفات الحديثة ، وتحيلت مفاهيم الكتب التي بين يدي . ووجدت الجواب .
لقد كان ببساطة : كلا .

لا تزال قضيتنا بحاجة الى كتابها ؛ لا يزال جيلنا بحاجة الى من يعبر عنه ، دون خوف ، ودون وجل . لا تزال بحاجة الى الكاتب الرسول الذي يتحدث باسمنا جميعا عن حياتنا ، عن آلامنا ، عن حريتنا . الكاتب الرسول ، الذي يحترم حرية الآخرين اكثر من احترامه لحيته . الكاتب الضحية ، الذي يعيش اليوم في سبيل ابناء الغد . الكاتب الصادق .

ان تحليل الكتب الثلاثة في اسطر معدودات

القصة السياسية ظاهرة جديدة في الادب العربي ، نشأت مؤخرا كانعكاس لحياة البيئة التي وجد فيها الكتاب الشباب من ابناء هذا الجيل ، الذين قدر عليهم الحياة في جو متناقض من المبادئ ، وتجارة المبادئ ، في جو مشبوب بالذعر والخوف والتشرد والقلق ، في جو امتاز بالاضطهاد والجريمة ؛ لذلك لا يستطيع الناقد لوم الكتاب على حشر السياسة في اطار القصة ، طالما ان السياسة تعيش في دمائهم ثانية بعد ثانية .
الا ان المشكلة تأتي بالطبع من تصنع القصة السياسية ، ومن تحميل القصة ما لا طاقة بها عليه ، وتحويل المقال السياسي الى قصة قصيرة او طويلة تحمل في طياتها محاضرات لا اول لها ولا آخر في الوعظ السياسي .

قرأت في الشهر الماضي المجموعات القصصية لاحمد الخطيب و اديب نحوي و يوسف الخطيب . واعدت قراءة بعض القصص ، فوجدت نفسي وجها لوجه امام قضية كبرى ، من اخطر قضايا البلاد العربية ، قضية ، ان وجد لها الحل الملائم ، لتطورت بلادنا اجيالا الى الامام . وهذه القضية هي ، بالطبع ، قضية الحرية ، التي حرمتنا منها في عصر يحاول الانسان فيه الوصول الى الكواكب .

وقضية الحرية في بلادنا لا تحتاج الى نقاش سفسطائي ، ولا تتطلب التحديد والفلسفة ، ووضع

امر مستحيل في الواقع ، ولكن وجود اشياء مشتركة في هذه الكتب يسمح بتقديمها فقط ضمن اطار القصة السياسية .

ان مفهوم القصة السياسية يجب ان يتضمن مفهوم القصة ، طالما اننا مصرون على استعمالها كوسيلة من وسائل تمبيرنا النضالي . واذا بدأنا بدراسة كتاب احمد الخطيب ، « الطريق الدامية » ، فاننا نجد المؤلف قد تمكن في الواقع من « فنية القصة » فأجاد التعبير ، واجاد اختيار الحادثة . القاري ، يسير معه سيرا حسنا ، امام شخصيات متكاملة ، لها كيان ووجود ، يستطيع المرء ان يلمسها ويراهما ويشعر بها ، ويستطيع ان يشمها في بعض الاحيان . وذلك لان الكاتب استخدم الاسلوب المعقول في كتابة القصة ، فأعطى الصور خلال حركة الابطال ، دون تكلف او تصنع . واستعمل « الفعل » عوضا عن استعمال الكلمات المجردة المطلقة التي استعملها اديب نحوي و يوسف الخطيب .

وقد نجح في الواقع بطريقة الاداء لانه لم يعتمد على اندفاع عواطفه وعلى تحمس مصطنع لا مبرر له في كتابة القصة .

لقد كان كل شيء واضحا في مخيلة احمد الخطيب ، لذلك جاء كتابه جميلا معبرا ، فلم يحمل القصة ما لا طاقة لها به .

اما قصص اديب نحوي ، فهي قصص حماسية من حيث الواقع ، يشم منها المرء رائحة التركيب المصطنع ، كما يلاحظ اعطاه القصة اسلوبا لا تتحمله كثيرا . وهو ، بعكس احمد الخطيب ، يستعمل التجريد في كلماته ، بدون مناسبة ، ويستعمل « المعجزات » في حوادث قصصه في زمن لا وجود للمعجزات فيه .

لقد حمل اديب نحوي قصصه اكثر مما يجب من حيث المبالغة في الحوادث . ان القاري لا يشعر بانها واقعية اذ لا يستطيع ان يلمس واقعتها ، بالرغم من اعتماد الكاتب على مصادر واقعية لقصصه ، كما يبدو .

ان القاري لا ينفع ابا بقصص اديب نحوي ، لا يتألم للحدث . ان واجب الكاتب ان يسيطر

على القاري ويوحى له عن طريق الحادثة بالاحساس الذي يريد .

اما كتاب يوسف الخطيب ، « عناصر هدامة » ، فان ابرز ما فيه ، لاول وهلة ، الصور الموقعة باسم « شموط » ؛ وهي صورة ناجحة الى حد بعيد . لقد حاول يوسف الخطيب خداع القاري بحجم الكتاب ، فاستعمل الحرف الكبير جدا والفراغات لكي يبدو الكتاب كبيرا . وهذا طبعا لا علاقة له بالنقد ، وانما هو شيء شخصي ، لاني لا احب الحرف الكبير جدا الذي يستعمل عادة لكاتب الصفوف الابتدائية في المدارس . ولا شك بان المؤلف استطاع ايهام القاري بحجم كتابه .

لقد اطلق يوسف الخطيب على مجموعته هذه اسم « لوحات قصصية » ؛ ولست ادري لماذا استعمل هذا التعبير ، وماذا يقصد به ، الا اني لم اكد اقرأ القصص حتى خيل الي انه لا يريد اطلاق اسم « قصص » على مجموعته . وذلك لان اسلوبه بعيد جدا عن اسلوب القصة . والواقع ان خير تعبير لنقد هذه المجموعة هو اقتباس قول المؤلف في اللوحة الاولى « التجربة والايمان » (صفحة ١٢) : « كي لا اشت ثانية عن القصة ، التي لا اعلم كيف اسوقها ، احاول البدء بها على هذا النحو » .

والواقع ان شرود الكاتب واستعماله للصفات الكثيرة في الجمل ، والتعابير التي تصلح للشعر اكثر من صلاحها للقصة ، قد خففت كثيرا من قيمة القصص من الناحية الادبية .

ان للقصة القصيرة اصولها وقواعدها ، واسلوب القصة جزء منها ، لا يمكن لنا التساهل به . ان هذا لا يعني التقيد بالطبع ؛ فالادب يحتاج دوما الى تطور اذا اراد ان يظل حيا . ولكن التطور لا يعني ايضا اهمال المفاهيم في سبيل اللاشيء ، في سبيل الخطأ .

ان البلاد العربية لا تزال بحاجة الى من يعبر عنها في هذه الفترة . انها بحاجة الى كتاب والي فلاسفة ، الى شعراء والي ادباء . انها بحاجة الى هؤلاء حاجتها الى العمل الايجابي .

واننا في انتظار الكاتب الرسول ، الكاتب الضحية ، الكاتب الصادق . **عماد تكرتي**